



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

الله  
رسول  
محمد

من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢

أبو بصير التونسي

تقبله الله

## بسم الله الرحمن الرحيم

نشأ نشأةً صالحةً في بلده، رغم شدة الفتن  
والمُنكرات، وهدى الله على يديه الكثير من أهل  
حارته الذين نفروا للجهاد، فكان ممّن يُلحق القول  
بالعمل، مُخالفًا بذلك الكثير من بني قومه، ممّن  
يستأسدون على أعواد المنابر، حتى إذا نزلوا عنها  
لبسوا أثواب النّعاج.

قليلُ الكلام كثيرُ الصّمت ...

باحثٌ عن الحقّ بلا كلل ...

الخفيّ التقيّ الطّاهر ...

نفرَ رحمه الله إلى أرض الرّافدين مبكّرًا، والتحقَ بكتيبة أمّ المؤمنين  
عائشة رضي الله عنها في منطقة اليوسفيّة، وأخذ يتنقل بين الدّورات  
العسكرية حتى تعلّم الكثير من فنون القتال وعلوم الرّجال.

خاض الكثير من المعارك، فروى فيها سيفه الظّامئ، وأبرأ بها شيئاً من  
جرحه الدّامي.

كان رحمه الله يقوم بما يُوكّل إليه خير قيام، حتّى وإن كان العملُ شاقاً شديداً، فكان ممّا أبدع فيه إبداعاً قلّ نظيره بين الإخوة، العملُ في مجال التّفخيخ، حيث يجهّز الشّاحنات بالأطنان من المتفجّرات في وقت قصير، ويحيطُها بدائرة التفجير في إتقانٍ مُبهر، وكأنّه صنّع الشّركة نفسها، ورغم كثرة أنتاجه وضغط العمل عليه، لم يؤثّر عنه خطأ في شيء منها، فقد كانت معيّة الله وتوفيقه تحيطه في كلّ شيء.

كان رحمه الله مصاباً بداء "العشو الليليّ" فإذا غربت الشمس لم يكد يُبصر شيئاً، لكنّه ما شكّا أمره لأحد، بل إنّ كثيراً من إخوانه لا يعرفون عنه هذا الشيء حتّى يومنا هذا، ولم يكن سبب سكوته هو الحياءُ أو الخجلُ، إنّما لعِلْمه أنّه لو أخبر الشّباب بهذا فسوف يتنافسون على خدمته ومرافقته، وهذا ما لا يُريده، فقد كان يصوم يومه دون أن يعرف به أحد، ولا يطلب من أهل البيت إفطاراً، بل كان يُفطر على الماء، وإن لم يأت الطّعام لعارضٍ لا يطلبه، رغم معرفته بسخاء أهل السنّة في العراق، وحُسن وفادتهم، وسهولة تحضير الطّعام لديهم، واستعدادهم لاستقبال الطّارق في أيّ وقت.

وأذكر أنّنا كنّا في إحدى قرى الأنبار، وكانت المنطقة مستهدفةً من الصّليبيين بشدّة، فلم يكن يمرُّ يومٌ أو يومان، إلا ويقومون فيه بإنزال جويّ، ومن المعروف أن هذه الإنزالات لا تحدث إلا ليلاً، فكان أبو بصير ينسحب مع إخوانه في الليل مع ضعفِ بصره الشّديد، ويعبر

القناطر على الأنهار كأنه في النهار، برغم أنه من جماعة "بلق"! وهو اسمٌ فُكاهي أطلقه الإخوة على الذين لا يجيدون السباحة لأن الإنسان إذا سقط في الماء يخرج منه هذا الصوت "بلق بلق" فسُموا بذلك تندرّاً.. وفي الصّباح، وحين نلتقي بعضنا ويتحدث الشّباب عن الإنزال، أسألهم: كيف أبو بصير في الانسحاب؟، وقد كنّا مقسمين على مجموعات، فيجيبون بجوابٍ حسنٍ، وحين أخبرهم أنه لا يكادُ يرى الطريقَ في الليل، يتفاجئون بذلك ويضنونني أبالغ، فقلتُ لهم ذات مرّة: سترون الحقيقة إن شاء الله.

وفي إحدى الليالي، وكنتُ أجلس في الغالب بجواره، طلب مني ماءً ليشرب، فأخذت قدح الماء ووضعتُه أمامَ ناظره مباشرةً، وبقيَ أكثرَ من دقيقةٍ ولم يشعر صاحبنا بشيءٍ، ثمَّ جعلتُ القدح يلمسُ وجهه، حينها تيقّن الشّباب من الأمر، وبعضهم كان قد رافقه أكثرَ من سنة، ولم يعرف بهذه المسألة، لشدة صمته وحرصه على عدم تكليف إخوانه.

ومن الابتلاءات التي مرّت به، أنّه أراد الاتّصال بأهله، فوجدهم قد غيّرُوا منزلهم، ولم تعد الأرقام التي يحفظها تعمل عندهم، فحاول الاتّصال بهم دون جدوى، وانقطعت أخباره عن أهله، وأخبارهم عنه، فكان حينَ يذكر والديه، يشقُّ عليه أنهما قلقان بسبب الانقطاع، ولكنّه يصبر نفسه، ويلجّ على الله بالدّعاء لهما، بأنْ يربط الله على قلوبهما، ويكتب له الشّهادة فيشفع لهما.

لقد كان رحمه الله يحرص على طلب العلم في الجهاد، وكان يقول دائماً: (والله إنَّ الله يفتح عليك في الجهاد في كثير المسائل الشيء العجيب، وصدق الله العظيم حين قال: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا})، فكانت معه مذكرة يسجل فيها كل ما يراه مفيداً، وقبل مقتله بفترة قصيرة، وهبها لي، وقال: (لعلَّ الله ينفعك بها)، وحين اطلعتُ عليها، وجدت بها فوائد قيِّمة، ومما قرأت فيها: "يوجد فرقٌ بين فعلِ المُنكر من غير رضىٍ واستهانة، وبين من يرضى بالمُنكر وإنْ لم يفعله، حيث أنَّ فعل المُنكر الذي هو دون الكفر أو الشُّرك معصيةً، وصاحبها إن فعلها عن هوىٍّ وضعف من غير رضىٍ واستحلال يُعتبر عاصياً ولا يكفر، أما من رضى بالمُنكر وإنْ لم يفعله فقد يكون واقعاً في الكفر، لأنَّ الرضى بالشيء ضربٌ من ضروب الاستحلال له، وهو بنفس الوقت استقباحٌ لما هو ضده من الحقِّ)، لم يذكر المصدر.

وقد رأيتُ منه في آخر أيَّامي معه زيادةً في صمته وعبادته، وإلحاحاً على الله بالدعاء، فشعرت بشوقه للقاء ربِّه، وحين ودَّعته وخرجت إلى مكان آخر، سمعتُ خبر مقتله في مواجهةٍ مع أحذية الصليبيين وأعداء الأمة والدين، شراذم الخونة من الصَّحوة المرتدِّين، أنزل الله عليهم صنوف العذاب، وأسكنهم قعر جهنَّم، وأذاقهم ذلَّ الدُّنيا قبل الآخرة.

والله إنِّي كنتُ انظر إلى وجه أبي بصير الطاهر المُشرق وأقول في نفسي: أخزا الله من يقتلك، فوالله أحسبُ أنَّ سريرتك أنصعُ من

علايتك، ولا نزكك على الله..



اللهم يا من أبصر بعينه التي لا تنام دماء أوليائه وهي تسيل على أرضه، اللهم أقم بها خلافة الإسلام وأجعلها نوراً للسالكين وناراً للمنكرين.

اللهم أكتب لأبي بصير أعلى منازل الشهداء، واجعله شافعاً لوالديه، واجمعنا به في جنان الخلد يا رب العالمين.

اللهم صلّ وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين... والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

عبد الأعلى المضرّي